القيم الاجتماعية في سورة يوسف (عليه السلام)

د. صالح نورين إبراهيم
أستاذ أصول التربية المشارك
جامعة الجزيرة

د. بركات محمد أحمد
أستاذ النقد والأدب المشارك
جامعة القرآن الكريم وتأصيل العلوم

القيـم الاجتماعية في سورة يوسـف (عليه السلام)

د. صالح نورين إبراهيم و د. بركات محمد أحمد

ملخص البحث

استهدفت الدراسة تناول القيم الاجتماعية المستنبطة من سورة سيدنا يوسف عليه السلام واستخدم الباحثان المنهج التحليلي الوصفي .

تمت دراسة السورة من أوجه متعددة نظراً لتنوع وتعدد هذه القيم وللاختلاف الواسع في تحديد مفهوم القيم لاختلاف الآراء حولها

وقد ظهرت القيم الاجتماعية في هذه السورة وهي كثيرة ولذلك لم يتعرض البحث لدراسة كل تلك القيم وإنما اكتفى البحث ببعضها خشية الإطالة فتناولت الدراسة منها : الشجاعة والكرم والعدالة وبر الوالدين والتضحية والتعاون .

مقدمـــــة

يعد البحث في القيم وأهميتها بحثاً حيوياً متجدداً ، لارتباطه بفلسفة وثقافة المجتمعات ، وهو ميدان معرفي تعددت فيه وجهات النظر وتباينت فيه الآراء لدرجة جعلت من الصعب على الباحثين الاتفاق على تحديد مفهوم القيم أو ماهيتها وتصنيفها، ذلك لأن القيم وفلسفتها ترتبط ارتباطاً وثيقاً بمنابع ومشارب أصحاب المدارس الفكرية المتنوعة ، والتي تتخذ مواقف متعددة ذات اختلافات جذرية في نظرتها للمعرفة والإنسان والوجود، وبمقدار هذا التنوع تختلف زوايا النظر والاهتمام عند تناول مصطلح القيم أو دراسة موضوعاتها .

ومما يزيد في إشكالية البحث في موضوع القيم تداخلها المتأصل والعميق مع فلسفة وثقافة المجتمع بكل أبعاده ومؤثراته الداخلية والخارجية ،والتي تؤثر على تحديد وتشكيل النظام القيمي الذي يتبناه أفراد المجتمع. فالمجتمعات الإسلامية على سبيل المثال تستمد أصولها ومقوماتها من تعاليم الإسلام وأحكامه المستمدة من القرآن الكريم والسنة النبوية المطهرة والتي بدورها تتفاعل مع غيرها من

الثقافات فأثرت فيها وتأثرت بها وهي لا تزال تتفاعل تفاعًلا كبيراً ومؤثراً مع الظروف والتحديات التي يعيشها المجتمع المعاصر .

مشكلة الدراسة :

إن دراسة القيم وموضوعاتها تعد من الجوانب البالغة التعقيد لارتباطها بفلسفة وثقافة المجتمع ، ولاسيما في عصر تداخلت فيه الثقافات وامتزجت بشكل أدى لذوبان بعضها في بعض، ولذا تحاول هذه الدراسة تحديد القيم التي أشار إليها القرآن الكريم باعتباره هادياً ومرشداً لحياة الأفراد ، وتركز هذه الدراسة على بعض أو أهم القيم الاجتماعية المتضمنة في سورة يوسف والتي تمثل مدرسة تربوية تتضح فيها معالم وسمات النظام القيمي للتربية الإسلامية على مستوى الأسرة والجماعة والمجتمع.

ولتحقيق ذلك فقد حاولت الدراسة الإجابة عن الأسئلة الآتية :

السؤال الأول :

• ما مفهوم القيم كما وردت في الأدب التربوي المعاصر؟

السؤال الثاني :

• ما مفهوم القيم الإسلامية ؟

السؤال الثالث :

• ما القيم الاجتماعية المتضمنة في سورة يوسف ؟

أهمية الدراسة :

إن المرحلة التي تعيشها المجتمعات الإسلامية اليوم في ظل العولمة وأبعادها ومكوناتها الثقافية والتكنولوجية والعلمية والاقتصادية والاجتماعية والسياسية وأهدافها الموضوعة لها في ظل غياب النظام التربوي الإسلامي القائم على رعاية القيم وتأصيلها ، تستوجب التوقف لإعادة تشكيل منهجية علمية واضحة المعالم والسمات تكشف عن النظام القيمي للتربية الإسلامية المستمدة من القرآن الكريم للسنة النبوية المطهرة، مع إيجاد الوسائل والأساليب التي تعمل على تنميتها وتأصيلها في نفوس الأفراد والناشئة . ولذلك جاءت هذه الدراسة لإبراز واستنباط القيم الاجتماعية المتضمنة في سورة يوسف والتي تمثل مرتكزاً أساسياً يوجه حياه

الأفراد نحو الخير والصلاح لتحقيق أهداف وفلسفة التربية الإسلامية في واقع الحياة .

منهج الدراسة :

استخدمت الدراسة المنهج الاستقرائي الاستنباطي.

حدود البحث :

القيم الاجتماعية في سورة يوسف عليه السلام.

مصطلحات البحث :

مفهوم القيم :

مجموعة من المعايير والأحكام ، تتكون لدى الفرد من خلال تفاعله مع المواقف والخبرات الفردية والاجتماعية .

هيكل البحث :

المبحث الأول :

مفهوم القيم.

المبحث الثاني :

القيم الاجتماعية المتضمنة في سورة يوسف.

خاتمة :

تشتمل على:

النتائج والتوصيات.

المبحث الأول

مفهوم القيم

المطلب الأول

مفهوم القيم في اللغة

جاء في لسان العرب (القيم (الاستقامة) والاستقامة الاعتدال، يقال استقام له الأمر[1]. وقوله تعالى ﴿قُلْ إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ مِثْلُكُمْ يُوحَى إِلَيَّ أَنَّمَا إِلَهُكُمْ إِلَهٌ وَاحِدٌ فَاسْتَقِيمُوا إِلَيْهِ وَاسْتَغْفِرُوهُ وَوَيْلٌ لِلْمُشْرِكِينَ﴾ (فصلت: ٦)، أي في التوجه إليه دون الآلهة . والقوام العدل ، قال تعالى: ﴿وَالَّذِينَ إِذَا أَنْفَقُوا لَمْ يُسْرِفُوا وَلَمْ يَقْتُرُوا وَكَانَ بَيْنَ ذَلِكَ قَوَامًا﴾ (الفرقان: ٦٧).

وقوام الأمر : نظامه وعماده، لقوله، هو قوام أهل بيته، وقيام أهل بيته ، وهو الذي يقيم شأنهم[2]، في قوله تعالى: ﴿وَلَا تُؤْتُوا السُّفَهَاءَ أَمْوَالَكُمُ الَّتِي جَعَلَ اللَّهُ لَكُمْ قِيَامًا وَارْزُقُوهُمْ فِيهَا وَاكْسُوهُمْ وَقُولُوا لَهُمْ قَوْلًا مَعْرُوفًا﴾ (النساء: ٥)، وقد تجئ القيم بمعنى المحافظة والإصلاح ومنه قوله تعالى: ﴿وَمِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ مَنْ إِنْ تَأْمَنْهُ بِقِنطَارٍ يُؤَدِّهِ إِلَيْكَ

١- جمال الدين بن مكرم بن منظور: لسان العرب ،ج ٥ ، دار المعارف، بيروت،ص ٣٧٨٠.

٢- ابن منظور ، مرجع سابق ، ص ٣٧٨١.

وَمِنْهُم مَّنْ إِن تَأْمَنْهُ بِدِينَارٍ لَّا يُؤَدِّهِ إِلَيْكَ إِلَّا مَا دُمْتَ عَلَيْهِ قَائِمًا ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُوا لَيْسَ عَلَيْنَا فِي الْأُمِّيِّينَ سَبِيلٌ وَيَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ وَهُمْ يَعْلَمُونَ﴾ (آل عمران: ٧٥). أي ملازماً محافظاً . وفي المفردات للراغب (ديناً قيماً) أي ثابتاً مقوماً لأمور معاشهم ومعادهم ،فالقيمة اسم للأمة القائمة بالقسط[١].

والقيمة واحدة القيم ، وأصله الواو لأنه يقوم مقام الشيء ،والقيمة ثمن الشيء واحدة بالتقويم[٢].

وقيم الأمر : مقيمه ،وأمر قيم : مستقيم، وقوله تعالى ﴿فِيهَا كُتُبٌ قَيِّمَةٌ﴾ (البينة: ٣)، أي مستقيمة تبين الحق من الباطل على استواء وبرهان[٣].

والقيم : السيد وسائس الأمر وقيم القوم :الذي يقومهم ويسوس أمرهم[٤].

ومن خلال السرد السابق لمفهوم القيم في اللغة يتضح أنها تعني الاستقامة والاعتدال والتوسط والإصلاح والمحافظة والتمسك بالحق والثبات عليه .

١- الراغب الأصفهاني : المقرب في غريب الشأن ، دار المعارف ، بيروت ، بدون تاريخ.
٢- ابن منظور، مصدر سابق ، ٣٧٨٢.
٣- ابن منظور، مصدر سابق ، ٣٧٨٥.
٤- المصدر السابق ، ٣٧٨٤.

المطلب الثاني

مفهوم القيم في الاصطلاح

أما في الاصطلاح فإن مفهوم القيم قد نال قدراً كبيراً من اهتمامات العلماء والباحثين من فلاسفة وتربويين ، على اختلاف انتماءاتهم العلمية ، مما أدى إلى تباين وجهات نظرهم في تحديد مفهوم ومدلول القيم ، فينظر للقيم غالباً على أنها تلك الأشياء التي تعد جيدة لذاتها مثل الجمال والحق والحب والأمانة والولاء ،والتي تعد أشياء مفضلة سواء بصورة شخصية أم اجتماعية.

فقد رآها بعضهم بأنها مجرد اهتمامات أو رغبات غير ملزمة بينما رآها آخرون أنها معايير مرادفة للنظام ككل[٥].

أو أنها تلك الأشياء (نشاطات وخبرات وغيرها) ، التي بتوازنها يتحقق الوجود الإنساني .

وقد أشار جون ديوي إلى عمق الخلاف وسعة التضارب في الآراء التي تحيط

٥- ضياء زاهر ، القيم في العملية التربوية ، ط ٢، مؤسسة الخليج العربي ، ١٩٨٤، ص ١٠.

بموضوع القيم حين قال (أن الآراء حول موضوع القيم تتفاوت بين الاعتقاد من ناحية، بأن ما يسمى قيما ليس في الواقع سوى إشارات انفعالية ، ومجرد تعبيرات صوتية ، وبين الاعتقاد في الطرف المقابل بأن المعايير العقلية ، الفعلية ضرورية ، ويقوم على أساسها كل من الفن والعلم والأخلاق[١].

المطلب الثالث

لقيم معايير ومقاييس للحكم على الأشياء

ذهب بعض الباحثين إلى القول بأن القيم هي عبارة عن معايير محددة يمكن من خلالها تمييز الحسن من القبيح، والخير من الشر ،والتي يمكن استخدامها للحكم على الأشياء والتصرفات من حيث كونها جيدة أو سيئة ،ومن أصحاب هذا الاتجاه شيفر وسترنغ[٢] اللذان عرفا القيم بأنها (المقاييس والمبادئ التي نستعملها للحكم على قيمة الشيء ، وهي المعايير التي نحكم من خلالها على الأشياء (الناس والأغراض ، والأفكار ، والأفعال، والمواقف) بأنها جيدة ، قيمة ، مرغوبة ، أو على عكس ذلك بأنها سيئة ،ومن غير قيمة ،أو قبيحة ، أما الشافعي فقد عرف القيمة بأنها مجموعة من المعايير والمقاييس المعنوية بين الناس ، يتفقون عليها فيما بينهم ، ويتخذون منها ميزاناً يزنون به أعمالهم ،ويحكمون به على تصرفاتهم المادية والمعنوية)[٣].

وعرفها أبو العينين[٤] بأنها مجموعة من المعايير والأحكام ، تتكون لدى الفرد من خلال تفاعله مع المواقف والخبرات الفردية والاجتماعية ، بحيث تمكنه من اختيار أهداف وتوجهات لحياته ، يراها جديرة بتوظيف إمكانياته وتتجسد خلال الاهتمامات أو الاتجاهات أو السلوك العملي أو اللفظي بطريقة مباشرة وغير مباشرة .

١- فوزية دياب ، القيم والعادات الاجتماعية ، بيروت، النهضة العربية ،١٩٨٠،ص ١٩.

2- Shaver. J. and Strong. W Facing Value necisions; Rationale-building for Teachers. Belmont. CA. Wadsworth. 1976. p 51.

٣- إبراهيم محمد الشافعي: الاشتراكية العربية كفلسفة للتربية، القاهرة ، مكتبة النهضة المصرية، ١٩٧١.

٤- علي خليل مصطفى أبو العينيين: فلسفة التربية الإسلامية في القرآن الكريم، دار الفكر العربي ، القاهرة، ص ١٩٨٠.

وفي هذا السياق يجب الإشارة إلى مصداقية هذه المعايير من حيث أنها موضوعية أو مطلقة أو نسبية ،وقد أشار هالستد إلى ثلاثة أمور مهمة تتعلق بالمعايير المنطقية والتي تمثل وجهات النظر المختلفة في هذه القضية:

١. يرى أنصار المدرسة النسبية أن الحقائق الأخلاقية تتغير حسب الفرد والزمان والمكان والظرف، وأن المعايير القيمية هي معايير نسبية وغير موضوعية.
٢. يرى أنصار المدرسة التي ترى أن أحكام القيم مطلقة وموضوعية، ذلك أن القيم تستعمل وتطبق في كل زمان ومكان ، وهناك اتفاق عام بين الناس أن بعض الأعمال هي دائماً صواب وأن بعضها دائماً خطأ بغض النظر عن الظروف أو الأحوال.
٣. وهناك مذهب التوسط بين النظريتين السابقتين ، فيقرر أن هناك قيما محددة يمكن اعتبارها قيماً مطلقة إذا ما رآها المجتمع تحقق معاشاً أفضل مثل الوطنية، تساوي الفرص .

المطلب الرابع

القيم موجهات للسلوك

ومن الباحثين من نظر إلى القيم باعتبارها موجهات للسلوك البشري، حيث يفضل الفرد بناء عليها سلوكاً ما على سلوك آخر وممن ذهب لذلك هالستد[١] الذي عرف القيم بأنها (المبادئ والمعتقدات الأساسية ، والمثل والمقاييس أو أنماط الحياة التي تعمل مرشداً عاماً للسلوك ، أو نقاط تفضيل في صنع القرار ، أو لتقويم المعتقدات والأفعال ،والتي ترتبط ارتباطاً وثيقاً بالسمو الخلقي والذاتي للأشخاص). ووصف دياب[٢] نقلاً عن موريس أن القيم هي (علم السلوك التفضيلي) إذ أن أي فعل : لكل فرد يمثل تفضيلا لمسلك على الآخر ، والمسلك المختار هو الأحسن والأكثر قبولاً ، والأكثر أهمية في نظر الفرد ،وطبقاً لتقديره وإدراكه للظروف القائمة في الموقف ،فبالقياس إلى المسالك تعبر القيم دائماً عن خير أحكامه وأفضلها وأحسنها في العمل

1- Halstead. j. Values and Values Education in schools. London: The Falmer Pross. 1996.p 16.

٢- فوزية دياب ، مرجع سابق ، ١٦ .

في مواقف الحياة السيارة،ومعنى ذلك أن الفرد يستعملها كلما اختار مسلكاً أو كلما اتخذ قراراً يفضل به مسلكاً معيناً من بين عدة بدائل، لأن مختارات أحكامه وموازناته في عدة ممكنات ، وقراءاته للعمل ، مسائل دائمة ، تواجهه باستمرار في كل وقت وفي كل خبرة من خبرات حياته.

ووافق هذا الاتجاه كل من بايلر ونوفلر كما أورده حسين[١] (بأن القيم التي يتبناها الأشخاص عوامل هامة محددة لسلوكهم ، فعندما يؤدي المرء سلوكاً معيناً أو يختار مساراً مفضلاً له على سلوك أو مسار آخر ، فإنه يفعل هذا وفي ذهنه أن السلوك أو المسار الأول يساعده على تحقيق بعض من قيمه بصورة أفضل في السلوك الآخر).

المطلب الخامس

القيم اهتمامات واتجاهات وتفضيلات

ومن أصحاب هذا الاتجاه : البرت وفيرتون ،كما أورده حسين[٢] بأن القيم هي اهتمامات لاتجاهات معينة حيال أشياء أو مواقف أو أشخاص، وإن كانت في الحقيقة اهتمامات واتجاهات عامة وليست نوعية أو خاصة . كما ذكر أيضاً حسين[٣] نقلاً عن سويف أن القيم تقدم المضمون والاتجاهات . كما أورد دياب[٤] رأي ثورندايك اعتبار أن القيم هي مجموعة من التفضيلات المبنية على شعور الإنسان باللذة أو بالألم وهذان يعدان المحكين الرئيسيين للحكم على القيم وتكونها ، فتمسك الإنسان بالقيم مناط أما بتحقيق لذة أو بدفع ألم ، أما ما سوى ذلك فإنه يكون عديم القيمة على الإطلاق .

القيم معتقدات:

وذهب بعض الباحثين إلى القول بأن القيم هي مجموعة من المعتقدات يتمسك بها الأفراد والمجتمع ويحكمون بوساطتها على قبح الأشياء أو حسنها. و من ذلك تعريف كل من كريتش وبلاتشي[٥] إذ يعرفان القيم بأنها :

١- محي الدين أحمد حسين ، القيم الخاصة لدى المبدعين ، القاهرة، دار المعارف، ١٩٨١ ،١٣٧.

٢- المرجع السابق ، ٣٢.

٣- المرجع نفسه ، ٣٠.

٤- فوزية دياب ، مرجع سابق ، ٢٦.

5- Kreech. D. and Ballachey. E. Individual Society. Comp. C. Megrant Hill Book. 1962. 10.

طبقة مهمة من المعتقدات يتقاسمها أعضاء المجتمع الواحد ، وبخاصة فيما يتعلق بما هو حسن أو قبيح ، أو ما هو مرغوب فيه أو مرغوب عنه).

ويعرفها كل من رائس وهيرمن وسيمون[1] بأنها المعتقدات والاتجاهات أو المشاعر التي يفتخر بها الفرد ويعلق عنها ، والتي اختيرت بتفكر من بين عدة بدائل ، والتي تطبق مراراً وتكراراً .

المطلب السادس

مفهوم القيم الإسلامية

إن البحث في القيم الإسلامية ، باعتبارها مصطلحاً ومحوراً تربوياً حديثاً ، قد تناولته بعض الدراسات المعاصرة بالبحث النظري وهو لا يزال بحاجة إلى مزيد من الجهود والدراسات الميدانية المتخصصة التي تحدد المنهج وتوضح الأطر التربوية والنفسية للقيم الإسلامية ، التي تسعى لوضعها موضع التنفيذ والتطبيق .

وقد عرفت القيم الإسلامية تعريفات حديثة تأثرت في مجملها بـ لاتجاهات التربوية المعاصرة ،ويظهر هذا التأثر في بلورة بعض الآراء المطروحة حول تعريف القيم، والتي سبق الإشارة إليها وإضافة البعد الإسلامي لها .

ويلاحظ هذا البعد في تركيز التعريفات المقترحة على ركنين أساسيين يميزان القيم الإسلامية عن غيرها وهي : البعد السلوكي ،والحكم الشرعي الذي يحكم به على هذا السلوك فمن حيث كونه حسناً أو قبيحاً .

فقد عرف فرحات ومرعي[2] القيم الإسلامية بأنها مكون نفسي معرفي عقلي ووجداني أدائي يوجه السلوك ويدفعه ولكنه إلهي المصدر ويهدف إلى إرضاء الله تعالى . وينظر القيسي[3] إلى القيم الإسلامية بأنها مجموعة من المثل العليا والغايات والمعتقدات والتشريعات والوسائل والضوابط

1- Raths, L., Harmin, M. and Simon, S. Values and Teaching: Working with Values in the Classroom. Columbus, OH. Charles E.Menill, 1966, 28.

٢- إسحاق فرحات وتوفيق مرعي : اتجاهات المعلمين في الأردن نحو القيم الإسلامية كما حددها الإمام البيهقي ، أبحاث اليرموك، سلسلة العلوم الإنسانية والاجتماعية ، المجلد الرابع ، عدد ٢، ١٩٨٧، ص٩٩.

٣- مروان إبراهيم القيسي ، المنظومة القيمية الإسلامية كما تحددت في القرآن الكريم والسنة الشريفة ، مجلة دراسات الجامعة الأردنية ، سلسلة العلوم الإنسانية ، ١٩٩٥م ،ا لمجلد ص ٢٢، ٣٢.

والمعايير لسلوك الفرد والجماعة مصدرها الله عز وجل. وهذه القيم هي التي تحدد علاقة الإنسان وتوجهه إجمالاً وتفصيلاً مع الله تعالى ومع نفسه ومع البشر ومع الكون ،ويتضمن هذه القيم غايات ووسائل.

ولذا نجد أن القيسي نظر إلى القيم الإسلامية من منظور واسع شامل يكاد يكون مرادفاً للمعنى العام للإسلام باعتباره ديناً شاملاً لجوانب الحياة ولذلك فإن البحث في مجال القيم الإسلامية تتطلب أن تركز على الجوانب الأساسية التي تحكم تمثل وتطبيق هذا القيم في واقع الحياة لدى الأفراد من خلال الجوانب العقدية والاجتماعية والنفسية والتشريعية التي تضبط هذا السلوك وتوجهه.

إضافة إلى ذلك فإن القيم الإسلامية تتميز بخصائص وطبيعة تميزها عن غيرها من القيم ،نظراً لاستنادها إلى الإسلام ولذلك فهي تجمع بين الثبات والتغير والمرونة وقابليتها للتفاعل الزماني والمكاني وآليات التفاعل معها، مراعية في ذلك مستجدات الحياة المعاصرة ومتطلباتها في مختلف مناحي الحياة .

المبحث الثاني
القيم الاجتماعية المتضمنة في سورة يوسف

مدخل:

سورة يوسف إحدى السور المكية التي تناولت قصص الأنبياء ، وقد أفردت الحديث عن قصة نبي الله (يوسف بن يعقوب) وما لاقاه عليه السلام من أنواع البلاء ومن ضروب المحن والشدائد من أخوته ومن الآخرين في بيت عزيز مصر، وفي السجن ، وفي تآمر النسوة ، حتى نجاه الله من ذلك الضيق، والمقصود بها تسلية النبي (ﷺ) بما مر عليه من الكرب والشدة وما لاقاه من أذى القريب والبعيد[1].

نزلت السورة الكريمة على رسول ﷺ بعد سورة (هود) في تلك الفترة الحرجة العصيبة من حياة الرسول الأعظم (ﷺ)، حيث توالت الشدائد والنكبات عليه وعلى المؤمنين، وبالأخص بعد

١- القرطبي أبو عبد الله محمد بن أحمد بن أبي بكر ، الجامع لأحكام القرآن ، ج٩ ص١٠١ .

أن فقد عليه السلام نصيريه: زوجه الطاهر الحنون (خديجة) وعمه (أبا طالب) الذي كان له خير نصير ، وخير معين، وبوفاتهما اشتد الأذى والبلاء على رسول الله (ﷺ) وعلى المؤمنين. وهكذا جاءت قصة يوسف الصديق تسلية لرسول (ﷺ) عما يلقاه ، وجاءت تحمل البشر والأنس والراحة، والطمأنينة لمن سار على درب الأنبياء فلابد من الفرج بعد الضيق ، ومن اليسر بعد العسر . وفي السورة دروس وعبر، وعظات بالغات، حافلات بروائع الأخبار العجيبة ، والأنباء الغريبة ﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ لَذِكْرَى لِمَن كَانَ لَهُ قَلْبٌ أَوْ أَلْقَى السَّمْعَ وَهُوَ شَهِيدٌ﴾ (ق: ٣٧)[١].

المطلب الأول

قيمة الشجاعة

تناول القرآن الكريم قيمة الشجاعة في سورة يوسف في قوله تعالى ﴿قَالَ هِيَ رَاوَدَتْنِي عَنْ نَفْسِي﴾ (يوسف: ٢٦). وقوله تعالى ﴿وَقَالَ الْمَلِكُ ائْتُونِي بِهِ فَلَمَّا جَاءَهُ الرَّسُولُ قَالَ ارْجِعْ إِلَىٰ رَبِّكَ فَاسْأَلْهُ مَا بَالُ النِّسْوَةِ اللَّاتِي قَطَّعْنَ أَيْدِيَهُنَّ إِنَّ رَبِّي بِكَيْدِهِنَّ عَلِيمٌ﴾ (يوسف: ٥٠).

وذكر ابن كثير في تفسيره قوله تعالى ﴿هِيَ رَاوَدَتْنِي عَنْ نَفْسِي﴾ . قال باراً صادقاً أنها اتبعته تجذبه إليها حتى قدت قميصه)[٢].

ومما ورد في تفسير هذه الآية : (أي قال يوسف مكذباً لها هي التي دعتني إلى مقارفة الفاحشة لا أني أردت بها السوء)[٣].

أما في تفسير قوله تعالى ﴿وَقَالَ الْمَلِكُ ائْتُونِي بِهِ﴾ ، فلما جاءه الرسول قال ارجع إلى ربك فاسأله ما بال النسوة اللاتي قطعن أيديهن ، إن ربي بكيدهنَّ عليم، فقد ذكر ابن كثير في تفسيرها، يقول تعالى إخباراً عن الملك لما رجعوا إليه بتعبير الرؤيا التي كان رآها بما أعجبه، فعرف فضل يوسف عليه السلام، وعلمه وحسن اطلاعه على رؤياه، وحسن أخلاقه على من ببلده من رعاياه، فقال (ائتوني به) أي

١- الطبري محمد بن جرير ، الجامع لأحكام القرآن ، ط الأولى بيروت لبنان ، دار الكتب العلمية ، ج٧ ص١٤٧.

٢- ابن كثير ، ص ٤٧٥.

٣- الصابوني ، ص ٤٨.

أخرجوه من السجن وأحضروه ، فلما جاءه الرسول بذلك امتنع من الخروج حتى يتحقق الملك ورعيته براءة ساحته ونزاهة عرضه بما نسب إليه من جهة امرأة العزيز، وأن هذا السجن لم يكن على أمر يقتضيه بل كان ظلماً وعدواناً.

وفي قوله ﴿فَاسْأَلْهُ مَا بَالُ النِّسْوَةِ اللَّاتِي قَطَّعْنَ أَيْدِيَهُنَّ إِنَّ رَبِّي بِكَيْدِهِنَّ عَلِيمٌ﴾ (يوسف: ٥٠)، فقال رسول (ﷺ) : (لو كنت أنا لأسرعت الإجابة وما ابتغيت العذر)[١].

وقد جاء في تفسير هذه الآية (ولما رجع الساقي إلى الملك وعرض عليه ما عبر به يوسف رؤياه استحسن ذلك فقال: أحضروه لي لأسمع منه تفسيرها بنفسي ولأبصره (فلما جاءه الرسول أي فلما جاء رسول الملك يوسف (قال ارجع إلى ربك)[٢] أي قال يوسف للرسول : (ارجع إلى سيدك الملك فاسأله ما بال النسوة اللائي قطعن أيديهن) أي سله عن قصة النسوة اللاتي قطعن أيديهن هل يعلم أمرهن؟ وهل يدري لماذا أحبست ودخلت السجن ؟ وأنى ظلمت بسببهن؟ أي عليه السلام أن يخرج من السجن حتى تبرأ ساحته من تلك التهمة الشنيعة ، وأن يعلم الناس جميعاً أنه حبس بلا جرم[٣].

أما عند تناول الشجاعة في مدلولها اللغوي نجد أنها تعني شدة القلب عند البأس وشجعه تشجيعاً قال له إنك شجاع أو قوي قلبه ، وتشجع تكلف الشجاعة[٤].

وفي الاصطلاح فالشجاعة تعني مواجهة المخاطر دون خوف والجرأة في نصرة الحق ورفض الذل والهوان دون تهور واندفاع .

من العرض السابق لتفسير الآيات الواردة عن الشجاعة يتضح إجماع من عرضت تفاسيرهم على أن الشجاعة قولاً وفعلاً تتطلب الصدق والبر للدفاع عن النفس ورد الظلم. ولذا نجد أن هذه القيمة تمثلت في شجاعة يوسف عليه السلام عندما قال : (هي راودتني عن نفسي) على الرغم من مكانة امرأة

١- مسند أحمد ج١٨ ص٣١٣ .
٢- الطبري ، ١٢ ص٢٩٧ .
٣- سيد قطب في ظلال القرآن ج١٢ ص٢٤٨ .
٤- مختار الصحاح ،ج ١ ، ص ١٣٩.

العزيز وتهديدها إياه لم يترك لها المجال لتقول ما تشاء بل كانت الشجاعة الأدبية التي تحفظ له حق الدفاع عن نفسه وعن شرفه وطهارته.

ويتعلم الفرد المسلم من قيمة الشجاعة المتضمنة في سورة يوسف عليه السلام ثبات الفرد على الحق ورد الظلم أيا كان الظالم ومهما كانت الظروف المحيطة بالفرد دون مراعاة الفوائد والاستحقاقات الذاتية ، ونجد ذلك متجسداً في موقف سيدنا يوسف عليه السلام عندما جاءه رسول الملك فقال له ارجع إلى ربك . وبهذا يريد إحقاق الحق وبراءة ساحته من الظلم الذي لحق به بالرغم من أنه في السجن. وهذه درجة عالية من الثبات على الحق. ولذا يعد ذلك من الظلم أنواع الجهاد في سبيل الله وأفضل الجهاد كلمة حق عند سلطان جائر[1].

المطلب الثاني

قيمة الكرم

تناول القرآن الكريم قيم الكرم في قوله تعالى ﴿وَقَالَ الَّذِي اشْتَرَاهُ مِنْ مِصْرَ لِامْرَأَتِهِ أَكْرِمِي مَثْوَاهُ عَسَى أَنْ يَنْفَعَنَا أَوْ نَتَّخِذَهُ وَلَدًا﴾ (يوسف: ٢١).

وقوله تعالى ﴿قَالَ لَا تَثْرِيبَ عَلَيْكُمُ الْيَوْمَ يَغْفِرُ اللَّهُ لَكُمْ وَهُوَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ﴾ (يوسف: ٩٢).

وقد ذكر ابن كثير في تفسير قوله تعالى ﴿وَقَالَ الَّذِي اشْتَرَاهُ مِنْ مِصْرَ لِامْرَأَتِهِ أَكْرِمِي مَثْوَاهُ عَسَى أَنْ يَنْفَعَنَا أَوْ نَتَّخِذَهُ وَلَدًا﴾ (يوسف: ٢١).

يقول يخبر تعالى بإلطافه بيوسف عليه السلام أنه قيض له الذي اشتراه من مصر حتى اعتني به وأكرمه ، وأوصى أهله به ، وتوسم فيه الخير والصلاح. وكان الذي اشتراه من مصر عزيزها وهو الوزير[2].

جاء في معنى هذه الآية : (أي ، قال الذي اشتراه من مدينة مصر لزوجته أكرمي إقامته عندنا ، قال ابن عباس : كان اسم الذي اشتراه (قطفير) وهو العزيز الذي كان على خزائن مصر ، (عسى أن ينفعنا أو نتخذه ولدا) أي عسى أن يكفينا بعض المهمات إذا بلغ أو نتبناه حيث لم يكن يولد لهما ولد[3].

١- الحاكم ، المستدرك على الصحيحين ،ج٤ ، ص ٥٥١.

٢- ابن كثير ،ص ٤٧٢.

٣- الطبري ج١٢ ص١٧٥ .

أما في تفسير قوله تعالى ﴿قَالَ لَا تَثْرِيبَ عَلَيْكُمُ الْيَوْمَ يَغْفِرُ اللَّهُ لَكُمْ وَهُوَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ﴾ (يوسف: ٩٢)، ذكر ابن كثير بقوله : أي تأنيب عليكم ولا عتب عليكم اليوم ، ولا أعيد عليكم ذنبكم في حقي بعد اليوم ، ثم زادهم الدعاء لهم بالمغفرة، أي قال لهم يوسف لا عتب عليكم اليوم ولا عقوبة بل أصفح وأعفو (يغفر الله لكم، دعى لهم بالمغفرة وهذا زيادة تكريم منه لما فرط منهم)[١].

وعند تناول الكرم في المدلول اللغوي نجد أن الكريم من صفات الله وأسمائه وهو الكثير الخير الجواد المعطي الذي لا ينفذ عطاءه وهو الكريم المطلق والكريم الجامع لأنواع الخير والشرف والفضائل ، والكريم اسم جامع لكل ما يحمد فاعله ، والكرم نقيض اللؤم يكون الرجل بنفسه وإن لم يكن له إباء[٢].

واصطلاحاً هو الإنفاق دون إسراف والشعور بالرغبة في العطاء قولاً وعملاً مع الميل لإدخال البهجة على نفوس الآخرين .

ومن العرض السابق لتفسير الآيات الواردة عن قيمة الكرم يتضح إجماع من عرضت تفاسيرهم أن الكرم يعني الاعتناء وتقديم الخير للآخرين سواء في إقامتهم أو غيرها .

فالكرم والسخاء يتصلان بسلوك الشخصية حيال ذاتها من حيث الإشباع المشروع أو غير المشروع للذات، فالسخاء يظل سمة ترشح بتجاوز الشخصية دائرة ذاتها ولاتجاه نحو الآخرين، أي إنها تفيض من ممتلكات ذاتها على الآخرين[٣].

ولا شك أن الأصل والمعدن له أثُر في تكوين حياة الإنسان فلذا كان تأثير ذلك واضحاً في سيرة يوسف عليه السلام وهو كما وصفه النبي (ﷺ) حيث قال (الكريم ابن الكريم بن الكريم يوسف بن يعقوب بن إسحاق بن إبراهيم عليهم السلام)[٤].

١- الصابوني: ص ٦٦.

٢- لسان العرب ، ج١٢ ، ص ٥١٠.

٣- محمود الشيباني :دراسات في علم النفس الإسلامي ،دار البلاغة ، ط ٢ ، ١٩٩١ م ، بيروت ، لبنان.

٤- البخاري : الصحيح ، باب قول الله تعالى (أم كنتم شهداء إذ حضر يعقوب حدث ، حديث رقم ٣٢٠٢ ، ج٣، ص ٢٣٧.

ولذا نجد أن سيدنا يوسف عليه السلام عندما أكرمه عزيز مصر، حفظ هذا الجميل وذكره عندما أرادت امرأة العزيز مراودته فقال (إنه ربي أحسن مثواي) مما يؤكد كرم يوسف عليه السلام وأصالة معدنه . كما نجد تمثل يوسف عليه السلام لقيم الكرم بالعفو عن إخوته بعد أن حاولوا قتله وما لحقه بسبب ذلك من أذى ، بلا تردد وبلا توقف، أي لا تأنيب عليكم ولا عتب ثم زادهم على ذلك بأن دعا لهم بالمغفرة .

ويتعلم الفرد من قيم الكرم المتضمنة في سورة يوسف عليه السلام التسامح والعفو عن المسيء ومقابلته بالإحسان، فيوسف عليه السلام كان باستطاعته عندما تعرف على إخوته أن ينتحل أي تهمة ضدهم ليزج بهم في السجن ويذيقهم ألواناً من العذاب جزاء كيدهم له ، ولكن سمو نفسه وكرم عنصره وترفعه عن الانتقام جعله يأبى أن ينزلق إلى هذا المنزلق الذي ينغمس فيه عادة الأشخاص العاديون .

كما يتعلم الفرد المسلم قيم الإنفاق والسخاء والاعتناء بالآخرين لاسيما في المواقف التي تتطلب مزيداً من الاهتمام والرعاية للأفراد الذين يحتاجون تلك الخدمة .

المطلب الثالث

قيمة العدالة

تناول القرآن الكريم قيم العدالة في سورة يوسف في قوله تعالى ﴿إِذْ قَالُوا لَيُوسُفُ وَأَخُوهُ أَحَبُّ إِلَى أَبِينَا مِنَّا وَنَحْنُ عُصْبَةٌ إِنَّ أَبَانَا لَفِي ضَلَالٍ مُبِينٍ﴾ (يوسف: ٨)، وفي قوله تعالى: ﴿عَسَى اللَّهُ أَنْ يَأْتِيَنِي بِهِمْ جَمِيعًا إِنَّهُ هُوَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ﴾ (يوسف: ٨٣).

وقد فسر ابن كثير قوله تعالى ﴿إِذْ قَالُوا لَيُوسُفُ وَأَخُوهُ أَحَبُّ إِلَى أَبِينَا مِنَّا وَنَحْنُ عُصْبَةٌ إِنَّ أَبَانَا لَفِي ضَلَالٍ مُبِينٍ﴾ بقوله : أي حلفوا فيما يظنون والله ليوسف وأخوه ، ويعنون بنيامين وكان شقيقه لأمه ، (أحب إلى أبينا منا ونحن عصبة) أي جماعة فكيف أحب ذينك الاثنين أكثر من الجماعة (إن أبانا لفي ضلال مبين) يعنون في تقديمهما علينا، ويحبه إياهما أكثر منا[1].

هذه هي المحنة الأولى ليوسف عليه السلام أي حين قالوا : والله ليوسف

١- ابن كثير ، ص ٤٦٩.

وأخوه (بنيامين) أحب منا عند أبينا، أرادوا أن زيادة محبته لهما أمر ثابت لا شبهة فيه، وإنما قالوا (وأخوه) وهم جميعاً إخوة لأن أمهما كانت واحدة .(ونحن عصبة) أي والحال نحن جماعة ذوو عدد، نقدر على النفع والضر، بخلاف الصغيرين وأن أبانا لفي ضلال مبين، أي أنه في خطأ وخروج عن الصواب بين واضح . لإيثاره يوسف وأخاه علينا بالمحبة[١].

وأما في تفسير قوله تعالى ﴿عَسَى اللَّهُ أَنْ يَأْتِيَنِي بِهِمْ جَمِيعًا إِنَّهُ هُوَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ﴾ (يوسف: ٨٣). فقد ذكر ابن كثير بقوله أي العليم بحالي (الحكيم) في أفعاله وقضائه وقدره[٢].

أي عسى الله أن يجمع شملي لهم ويقر عيني برؤيتهم جميعاً (أنه العليم الحكيم) أي العالم بحالي الحكيم في تدبيره وتصريفه[٣].

أما عند تناول العدالة في المدلول اللغوي فنجد أن العدالة من عدل، والعدل ما قام في النفوس أنه مستقيم وهو ضد الجور، عدل الحاكم في الحكم يعدل عدلاً وهو عادل من قوم عدول . وفي أسمائه سبحانه العدل وهو الذي لا يميل به الهدى فيجور في الحكم وهو في الأصل مصدر سمي به فيضع موضع العادل وهو أبلغ منه لأنه جعل المسمى نفسه عادلاً[٤].

أما العدالة في الاصطلاح فتعني وضع الأمور في نصابها بعيداً عن الظلم وإعطاء كل ذي حق حقه لتحقيق المساواة بين الناس في الحكم والعدل والمعاملة وأداء الحق .

فمفهوم العدالة أن تقدر ما لكل فرد من الحقوق والثمار والخيرات ومن العمل الصالح ، وما عليه من الالتزامات والواجبات أو الذنوب الآثام والجرائم[٥].

ولهذا كان مفهوم العدالة في الإسلام واسعاً جداً يشمل العقائد والأفكار كما يشمل الشعور والوجدان ، وينعكس كل ذلك في السلوك الفردي

١- الصابوني، ص ٤٢.
٢- ابن كثير ، ص ٤٨٦.
٣- الصابوني، ص ١٦٤.
٤- لسان العرب ،ج١١، ص ٤٣٠.
٥- زكريا بشير إمام ، مفهوم العدالة بين الفكر الإسلامي والفكري الغربي ، ص ٢٠٨ ، ٢٣ ، وقائع مجدلاوي ، عمان ، الأردن.

والاجتماعي على مستوى الدولة والهيئات[1].

كما تقتضي العدالة أن يعامل الابن الوالدين وهما في حالة ضعف معاملة كريمة ، لأنه تلقى منهما معاملة كريمة عندما كان صغيراً ضعيفاً ،والعدالة تسود في معاملة الناس بعضهم ببعض، فليس من العدل أن يفرط الإنسان في حقوقه المشروعة، ولا من العدل أن يتغول على حقوق الآخرين[2].

لقد كان يعقوب عليه السلام يدرك أن حبه ليوسف عليه السلام ليس عاطفة أبوية فحسب ولكن وراء العاطفة شيء آخر ، إنه النبوة المتسلسلة في هذا البيت الكريم ، وعلى الرغم من أن هذا الحب والتفضيل الذي كان مبيناً على أسس وراء العاطفة فكان له ما يسوغه، وقد أحدث في نفوس الأخوة ما أحدث .

ولذا نجد أن السنة النبوية أشارت إلى ضرورة مراعاة مبدأ العدالة على المستوى الاجتماعي داخل الأسرة ، فقد أخرج الإمام مسلم في صحيحه عن النعمان ابن بشير رضي الله عنهما أن أباه وهبه بستاناً وأن أمه أعجبها أن يشهد النبي (ﷺ) على ذلك ، فأخذه أبوه إلى رسول الله (ﷺ) فقال : يا رسول الله : أني نحلت ابني هذا البستان وأن أمه أعجبها أن تشهد على ذلك فقال له رسول الله (ﷺ) (ألك غيره ؟ قال نعم. قال : أعطيتهم كلهم مثل ما أعطيته : قال : لا ، فقال له النبي (ﷺ) : (أرجعه فإني لا أشهد على زور .. اتقوا الله واعدلوا بين أولادكم)[3].

ويتعلم الفرد المسلم من قيم العدالة المتضمنة في سورة يوسف عليه السلام المسئولية وأداء الحقوق والواجبات على الوجه الأكمل ،لذا نجد يوسف عليه السلام وهو في السجن عندما طلب منه تفسير رؤيا الملك قدم المشورة والتفسير دون اشتراط ذلك بحقوق تعود عليه ، فقال له يوسف ، إن البلاد ستمر عليها سنوات سبع فيها الخيرات ، تجود فيها الأرض

١- مفهوم العدالة بين الفكر الإسلامي والفكري الغربي ، ص ٢١٠.

٢- مفهوم العدالة بين الفكر الإسلامي والفكري الغربي ، ص ٢١٢.

٣- مسلم : الصحيح ، باب كراهية تقبيل بين الأولاد في الهبة ، حديث رمق ١٩٢٣ ،ج٣، ص ١٢٤٣.

بالغلات الوافرة ، ثم يعقبها سبع سنين مجدبة ، تأكل الأخضر واليابس ، وأن عليهم أن يقتصدوا من سني الرخاء إلى سني الجدب والقحط. مما يؤكد ضرورة تمثل الفرد المسلم بقيم العدالة في كل أحواله وظروفه في الرضا والغضب والشدة والرخاء وغيرها من المتغيرات والابتلاءات في هذه الحياة الدنيا.

المطلب الرابع

قيمة بر الوالدين

تناول القرآن الكريم قيم بر الوالدين في سورة يوسف في قوله تعالى ﴿فَلَمَّا دَخَلُوا عَلَى يُوسُفَ آوَى إِلَيْهِ أَبَوَيْهِ وَقَالَ ادْخُلُوا مِصْرَ إِنْ شَاءَ اللَّهُ آمِنِينَ﴾ (يوسف: ٩٩)، وقوله تعالى: ﴿وَرَفَعَ أَبَوَيْهِ عَلَى الْعَرْشِ وَخَرُّوا لَهُ سُجَّدًا﴾ (يوسف: ١٠٠).

وذكر ابن كثير في تسيره قوله تعالى (فَلَمَّا دَخَلُوا عَلَى يُوسُفَ آوَى إِلَيْهِ أَبَوَيْهِ وَقَالَ ادْخُلُوا مِصْرَ إِنْ شَاءَ اللَّهُ آمِنِينَ)، يخبر تعالى عن ورود يعقوب عليه السلام على يوسف عليه السلام ، وقدومه بلاد مصر ، لما كان يوسف قد تقدم لإخوانه أن يأتوه بأهلهم أجمعين ، فلما أخبر يوسف عليه السلام باقترابهم خرج لتلقيهم وأمر الملك أمراءه وأكابر الناس بالخروج مع يوسف لتلقي نبي الله يعقوب عليه السلام ، ثم أختار ما أحكاه عن السدي أن يوسف أوى إليه أبويه لما تلقاهما، ثم لما وصولوا باب البلد قال ﴿وَقَالَ ادْخُلُوا مِصْرَ إِنْ شَاءَ اللَّهُ آمِنِينَ﴾ (يوسف:٤٩).

جاء في تفسير هذه الآية: (أي فلما دخل يعقوب وأبناؤه وأهلوهم على يوسف ضم إليه أبويه واعتنقهما، وقال أدخلوا مصر إن شاء الله آمنين) أي أدخلوا بلدة مصر امنين من كل مكروه ، وإنما قال إن شاء الله تبركاً وتيمناً[١].

أما في تفسير قوله تعالى (وَرَفَعَ أَبَوَيْهِ عَلَى الْعَرْشِ وَخَرُّوا لَهُ سُجَّدًا) فقد ذكر ابن كثير بقوله : قال ابن عباس ومجاهد : يعني السرير ، أي أجلسهما معه على السرير (وخروا سجداً) أي سجد له أبواه وإخوته الباقون[٢].

وقد جاء في معنى هذه الآية : أي

١- الصابوني: ص ٦٨.
٢- الصابوني: ص ٤٩.

أجلسهما على سرير الملك بجانبه، وخروا له سجدا أي سجد له أبوه وأمه وأخوته حين دخولهم عليه فقال المفسرون، كان السجود عندهم تحية وكرامة لا عبادة[١].

أما عند تناول مفهوم البر في مدلوله اللغوي نجد أنه يعني الصدق والطاعة والخير والعطف والإكرام ، والبر ضد العقوق . وبر الوالدين هو في حقهما وحق الأقربين من الأهل ضد العقوق وهو الإساءة إليهم والتضييع لحقهم، والبر فعل كل خير من أي ضرب كان[٢].

ومن العرض السابق لتفسير الآيات الواردة عن بر الوالدين يتضح إجماع من عرضت تفاسيرهم على أن بر الوالدين واجب على الإنسان بعد عبادة الله سبحانه وتعالى ، وأنه يجب طاعتهما وبرهما في كل شيء إلاَّ الشرك به سبحانه وتعالى . إن وصية القرآن بالوالدين جعلت برهما تالياً في الأهمية للتوحيد وإفراد الله تعالى بالعبادة ، ثم الشكر له تعالى ، ولذا كان من الحقوق الواجبة والآداب الأبوية اللازمة بر الوالدين وطاعتهما والإحسان إليهما والقيام بخدمتهما والدعاء لهما بعد مماتهما[٣].

ومن الآداب التي يجب أن يتعامل بها الولد مع والديه أن يسمع حديثهما ويقوم لقيامهما، ويلبي دعوتهما ويخفض لهما جناح الذل من الرحمة ولا يمن عليهما بالبر ولا بالقيام بأمرهما وألا ينظر إليهما شذراً ولا يعصى لهما أمراً[٤].

ولهذا نجد أن سيدنا يوسف عليه السلام جسد هذه الآداب مما يلزم تمثل هذه القيم والآداب لدى أفراد المجتمع المسلم.

فبر الوالدين يكون بالإحسان إليهما ولين القول لهما وتوقيرهما والإنفاق عليهما عند الحاجة ، والدعاء لهما بكل خير في حياتهما وبعد مماتهما ، والبعد عن عقوقهما بإلحاق الأذى بهما

١- الصابوني، ص ٦٨.

٢- ابن منظور ، لسانا لعرب ، المجلد الرابع ، ص ٤٠٥١.

٣- سيد قطب ، في ظلال القرآن ، ج١، ص ٤٠.

٤- أبوحامد محمد بن : المنقذ من الضلال ومعه يحيا والسعادة والقواعد الشعرة للأدب ، حديد ، تعليق وتصحيح ، محمد جابر ، مكتبة الجقول ، بدون تاريخ ، ص ١١٣٢.

نفسياً كان ذلك الأذى أو معنوياً أو ماديا ، قولاً كان أو فعلاً[1].

وجاءت السنة النبوية المطهرة موضحة ضرورة بر الوالدين ومكانته عند الله تعالى ، وذلك في الحديث الذي رواه عبد الله قال : سألت النبي (ﷺ) أي العمل أحب إلى الله عز وجل ، قال : الصلاة لوقتها ، قال ثم أي قال بر الوالدين ، قال ثم أي قال الجهاد في سبيل الله[2].

وكذلك نجد أن الرسول (ﷺ) بين أن عقوق الوالدين من الكبائر ، وذلك في الحديث الذي رواه أبو بكر عن أبيه، قال كنا عند رسول (ﷺ) فقال (ألا أنبئكم بأكبر الكبائر ثلاث : الإشراك بالله وعقوق الوالدين وشهادة الزور أو قول الزور)[3].

ويتعلم الفرد المسلم قيما تربوية متعددة منها منزلة ومكانة الوالدين عند الله تعالى، ثم شكر الوالدين على نعمة التربية والرعاية ، مما يتطلب طاعتهما وبرهما والوفاء إليهما والإحسان لهما ، سواء معنوياً والرضا بالدعاء والاستغفار أو مادياً بالإنفاق عليهما أو اجتماعياً بصلتهما وصلة أرحامهما . إضافة إلى ذلك يتعلم الفرد المسلم من قيم بر الوالدين صحبتهما بالمعروف والإحسان إليهما في غير معصية أو إشراك بالله ، مما يتطلب القيام بواجبهما على أكمل وجه في هذه الحياة الدنيا.

وكذلك يستفيد الفرد المسلم من قيم بر الوالدين الاحترام والتقدير والأدب عند الحديث معهما ومشاورتهما في كل ما يتعلق بحياته ، مما يكون له أثر في ثقة واطمئنان الوالدين على ابنهما وشعورهما باقتطاف ثمار تربيتهما، مما يكون زاداً إضافياً للعطاء الذي لا ينقطع ولا يتوقف مهما كان سلوك ابنهما.

ومما سبق من عرض نجد أن سيدنا يوسف عليه السلام تمثل قيمة بر الوالدين وجسدها واقعاً في تعامله

١- عبد الحكم عبد اللطيف الصعيدي: الأسرة المسلمة، أسس ومبادئ ، الدار المصرية ، القاهرة، ١٩٩٣، ص ١٣٨-١٤٠.

٢- الإمام أبوالحسين مسلم بن الحجاج بن مسلم : صحيح مسلم : كتاب البر والصلة والآداب ، باب بر الوالدين ، مجلد ٨ ، ج ١٦، ص ١٠٢.

٣- أبوعبد الله بن إسماعيل البخاري : صحيح البخاري ، باب الكبائر وأكبرها ،مجلد الأول، ج٢، ص ٨١-٨٢.

ومعاملاته مع أبويه وأخوته .

المطلب الخامس

قيمة التعاون والتضحية

التضحية لغة : من ضحى وضحى عن الشيء رفق به وضح رويدا أي لا تعجل وقال زيد الخيل الطائي فلو أن نصرا أصلحت ذات بينها لضحت رويدا عن مطالبها عمرو ونصر وعمرو ابنا قعين وهم بطنان من بني أسد وفي كتاب علي إلى ابن عباس رضيا عنهم ألا ضح رويدا فقد بلغت المدى أي اصبر قليلا قال الأزهري والعرب قد تضع التضحية موضع الرفق والتأني في الأمر وأصله أنهم في البادية يسيرون يوم ظعنهم فإذا مروا بلمعة من الكلأ قال قائدهم ألا ضحوا رويدا فيدعونها تضحي وتجتر ثم وضعوا التضحية موضع الرفق لرفقهم بحمولتهم ومالهم في ضحائها وما لها من الرفق في تضحيتها وبلوغها مثواها وقد شبعت وأما بيت زيد الخيل فقول ابن الأعرابي في قوله لضحت رويدا عن مطالبها عمرو بمعنى أوضحت وبينت حسن والعرب تضع التضحية موضع الرفق والتؤدة لرفقهم بالمال في ضحائها كي توافي المنزل[1].

واصطلاحاً : هي تقديم النفس من أجل الدين والقبيلة والحث على المال في سبيل الإنجازات المثمرة .

حكم على يوسف بالسجن فمكث سنوات عديدة تبلغ سبعا كما قال تعالى: ﴿ثُمَّ بَدَا لَهُمْ مِنْ بَعْدِ مَا رَأَوُا الْآيَاتِ لَيَسْجُنُنَّهُ حَتَّى حِينٍ﴾ (يوسف: ٣٥) ، دخل يوسف السجن على غير جريمة اقترفها ودخل معه السجن فتيان : أحدهما رئيس سقاة الملك ، والثاني رئيس الخبازين . فرأى كل منهما حلما وعرضه على يوسف .

أما رئيس السقاة ، فقد رأى أنه بعصر في كأس الملك الخمر . وأما الثاني فقد رأى أنه يحمل فوق رأسه طبقا من الخبز والطير تأكل من ذلك الخبز . وطلبا منه أن يخبر كل واحد منهما بتفسير رؤياه ، فقال للأول: إنك ستخرج من السجن ، وتعود إلى عملك فتسقي الملك خمرا ، وقال للثاني : إنك ستصلب وتأكل الطير من رأسك،

١- لسان العرب ج١٤:ص٤٨٠.

وكان الأمر كما أخبر يوسف عليه السلام .

وبإلقاء نظرة على هذه القصة التي حوت كثيراً من الدروس والعبر نجد أن يوسف عليه السلام قد ضحى في سبيل ربه، ضحى فقبل السجن على ملاذ الدنيا وشهواتها، وضحى فاختار لقاء الله على ما كان عليه من النعمة وحسن المنصب فقال حينما أتم الله عليه النعمة ﴿رَبِّ قَدْ آتَيْتَنِي مِنَ الْمُلْكِ وَعَلَّمْتَنِي مِنْ تَأْوِيلِ الْأَحَادِيثِ فَاطِرَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ أَنْتَ وَلِيِّي فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ تَوَفَّنِي مُسْلِمًا وَأَلْحِقْنِي بِالصَّالِحِينَ﴾، فلما رأى يوسف عليه السلام نعمة الله قد تمت ، وأن شمله قد اجتمع ، وعرف أن هذه الدار لا يقر بها قرار ، وأنَّ كل شيء فيها ومن عليها فان ، وما بعد التمام إلا النقصان، فعند ذلك أثنى على ربه بما هو أهله، واعترف له بعظيم إحسانه وفضله، وسأل منه – وهو خير مسؤول – أن يتوفاه على الإسلام ، وأن يلحقه بعباده الصالحين ، وهكذا كما يقال في الدعاء اللهم أحينا مسلمين وتوفنا مسلمين أي حين تتوفانا ، ويحتمل أنه سأل ذلك عند احتضاره عليه السلام كما سأل النبي صلى الله عليه وسلم عند احتضاره أن يرفع روحه إلى الملأ الأعلى والرفقاء الصالحين من النبيين والمرسلين كما قال : ((اللهم في الرفيق الأعلى)) ثلاثا ويحتمل أن يوسف عليه السلام سأل الوفاة على الإسلام منجزا في صحة بدنه سلامته ، وأن ذلك كان سائغا في ملتهم وشرعهم ، فأما في شريعتنا فقد نهي عن الدعاء بالموت عند الفتن . فأما في حال الرفاهية فقد روى البخاري ومسلم في صحيحهما مرفوعا : ((لا يتمنين أحدكم الموت لضر نزل به ، إما محسنا فلعله يزداد ، وإما مسيئا فلعله يستعتب ، ولكن ليقل: اللهم أحيني ما كانت الحياة خيرا لي ، وتوفني إذا كانت الوفاة خيرا لي)) والمراد بالضر هنا ، ما يخص العبد في بدنه من مرض ونحوه ، لا في دينه[1].

والمقصود أن التضحية من الصفات الجميلة التي ينبغي أن يتحلى بها القائد والداعية وكل من ينتمي إلى دين

١- ابن كثير ، قصص الأنبياء ، ص٢٠٦ .

الإسلام لأنه دين الدعوة الذي لم يأت إلا بالتضحية لأجل الدين .

التعاون:

التعاون لغة : معناه الإعانة تعاون القوم أعان بعضهم بعضا واعتونوا أيضا مثله[1].

واصطلاحاً : هو العمل بروح الفريق والرغبة في الأعمال المفيدة لمصلحة الفرد والقبيلة ثم تقديم الحاجة إلى من يحتاجها .

لقد أدرك يوسف عليه السلام أهمية التعاون ومدى الحاجة إليه فنجده عندما استأنس العزيز به وأعجب برأيه وعقله نجده يعرض نفسه على الملك ليكون معاونا له في شؤون مملكته ولم يكن ذلك منه رغبة في السلطان والجاه ولكنه آنس من نفسه الكفاءة والمقدرة فأحب أن يدلي بدلوه ولأنه يدرك أن ذلك المنصب سيكون له أثر إيجابي عظيم في الدعوة إلى الله والتمكين لدين الله فنجده يسير في سياسته وفق ما شرعه الله تعالى ليحقق العدل والمساواة .

وأما إعراض بعض الدعاة عن المناصب والدخول في الناس فلذلك ليس من صفات الداعية الحريص على إصلاح الناس لأن تلك المناصب يمكن أن تكون مناجم للدعوة إلى الله إذ لا يخفى ما للمناصب من التأثير في التغيير إلى الأفضل والأحسن والأخذ بيد الناس إلى ما يصلحهم ويسعدهم وذلك من أعظم فقه الدعوة إلى الله كما قال سيدنا عثمان رضي الله عنه: (إن الله ليزع بالسلطان ما لايزع بالقرآن[2]

ولذا نجد يوسف عليه السلام يبادر ويعرض على الملك أن يوليه منصباً مهماً في مملكته لأنه يدرك أهمية تلك المناصب وإمكانية الاستفادة منها في دعوة الناس إلى الخير مما كان لذلك أثر واضح في إصلاح المجتمع وترقيته وتبصيره بنور الله تعالى .

والتعاون قد يكون سلبياً كما تجلى ذلك في تعاون إخوة يوسف عليه السلام في إيذاء أخيهم يوسف عليه

١- مختار الصحاح ج١:ص١٩٤.

٢- أثر مروي عن عثمان بن عفان رضي الله عنه . انظر : ابن عبد البر ، يوسف بن عبد الله بن عبد البر ، التمهيد لما في الموطأ من المعاني والأسانيد ، تحقيق : مصطفى أحمد العلوي ، وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية – المغرب – ١٣٨م . ج١ ص١١٨.

السلام بل وصل بهم الأمر أن هموا بقتله كما في قوله تعالى : ﴿اقْتُلُوا يُوسُفَ أَوِ اطْرَحُوهُ أَرْضًا يَخْلُ لَكُمْ وَجْهُ أَبِيكُمْ وَتَكُونُوا مِنْ بَعْدِهِ قَوْمًا صَالِحِينَ﴾ (يوسف: ٩).

خاتمـــــة

في ختام هذه الدراسة خلص الباحث إلى النتائج التالية :

١- الاختلاف الواسع في تحديد مفهوم القيم نظراً لتعدد الآراء حولها.

٢- القيم في الميزان الإسلامي تجمع الحكم الشرعي والبعد السلوكي كسائر القضايا الإسلامية .

٣- نظراً لكثرة القيم الاجتماعية في سورة يوسف عليه السلام تعرض البحث لبعض منها .

٤- من خلال هذه الدراسة تتجلى مفهوم القيم الاجتماعية من المنظور الإسلامي والفرق بين القيم في المفهوم الإسلامي والمفهوم التربوي الحديث .

٥- دراسة القيم تُعد من الجوانب البالغة التعقيد لارتباطها بفلسفة وثقافة المجتمع .

٦- الشجاعة والكرم والعدالة وبر الوالدين والتضحية والتعاون من أبرز القيم الاجتماعية في سورة يوسف.

٧- هذه السورة يمكن أن تدرس من جوانب متعددة الاقتصادي الجمالي والسياسي ولهذا نوصي بدراسة هذه الجوانب وغيرها .

المصادر والمراجع

أولاً : **المصادر :**

١. القرآن الكريم.

ثانياً : **المراجع العربية :**

٢. جمال الدين بن مكرم بن منظور: لسان العرب ،ج ٥ ، دار المعارف، بيروت،ص ٣٧٨٠

٣. الراغب الأصفهاني : المقرب في غريب الشأن ، دار المعارف ، بيروت ، بدون تاريخ

٤. الشيخ محمد علي الصابوني،: صفوة التفاسير ، تفسير القرآن الكريم ، المجلد٢ ، ط ٩ ، دار الصابوني ، القاهرة، ص ٢٤٩.

٥. البخاري : الصحيح ، باب قول الله تعالى (أم كنتم شهداء إذا

حضر يعقوب)، حديث رقم ٣٢٠٢، ج٣، ص ٢٣٧.

٦. مسلم : الصحيح ، باب كراهية التفضيل بين الأولاد في الهبة، حديث رمق ١٩٢٣ ،ج٣، ص ١٢٤٣.

٧. أبو حامد محمد بن محمد الغزالي: المنقذ من الضلال ومعه الإحياء والسعادة والقواعد العشرة للأدب ،حديد ، تعليق وتصحيح، محمد جابر ، مكتبة الجقول ، بدون تاريخ ، ص ١١٣٢.

٨. الإمام أبوالحسين مسلم بن الحجاج بن مسلم :صحيح مسلم: كتاب البر والصلة والآداب ، باب بر الوالدين ، مجلد ٨ ، ج ١٦، ص ١٠٢.

٩. سيد قطب ، في ظلال القرآن ، ج١، ص ٤٠.

١٠. أبوعبد الله بن إسماعيل البخاري: صحيح البخاري ، باب الكبائر وأكبرها ،مجلد الأول ،ج٢،ص ٨١-٨٢.

١١. ضياء زاهر ، القيم في العملية التربوية ، ط ٢، مؤسسة الخليج العربي ، ١٩٨٤، ص ١٠.

١٢. فوزية دياب ، القيم والعادات الاجتماعية ، بيروت ، النهضة العربية ،١٩٨٠،ص ١٩ .

١٣. إبراهيم محمد الشافعي: الاشتراكية العربية كفلسفة للتربية، القاهرة ، مكتبة النهضة المصرية ، ١٩٧١.

١٤. علي خليل مصطفى أبو العينين: فلسفة التربية الإسلامية في القرآن الكريم، دار الفكر العربي، القاهرة، ص ١٩٨٠.

١٥. محي الدين أحمد حسين ، القيم الخاصة لدى المبدعين ، القاهرة، دار المعارف، ١٩٨١ ،١٣٧.

١٦. إسحاق فرحات وتوفيق مرعي : اتجاهات المعلمين في الأردن نحو القيم الإسلامية كما حددها الإمام البيهقي ، أبحاث اليرموك، سلسلة العلوم الإنسانية والاجتماعية ، المجلد الرابع ، عدد ٢، ١٩٨٧، ص٩٩.

١٧. مروان إبراهيم القيسي ، المنظومة القيمية الإسلامية كما تحددت في

القرآن الكريم والسنة الشريفة ، مجلة دراسات الجامعة الأردنية، سلسلة العلوم الإنسانية، ١٩٩٥م، ا لمجلد ص ٢٢، ٣٢.

١٨. محمود البستاني :دراسات في علم النفس الإسلامي ،دار البلاغة ، ط ٢، ١٩٩١ م ، بيروت، لبنان.

١٩. زكريا بشير إمام ، مفهوم العدالة بين الفكر الإسلامي والفكري الغربي ، ص ٢٠٨ ، ٢٣ ، روائع مجدلاوي ، عمان ، الأردن.

٢٠. عبد الحكم عبد اللطيف الصعيدي: الأسرة المسلمة، أسس ومبادئ ، الدار المصرية ، القاهرة، ١٩٩٣، ص ١٣٨-١٤٠.

ثالثاً : المراجع الأجنبية:

21. alstead, j. Values and Values Education in schools, London: The Falmer Pross, 1996,p 16.

22. Kreech, D, and Ballachey, E. Individual Society, Comp, C. Megrant Hill Book, 1962, 10.

23. Raths, L., Harmin, M. and Simon, S. Values and Teaching: Working with Values in the Classroom, Columbus, OH, Charles E.Menill, 1966, 28.

24. Shaver, J, and Strong, W Facing Value necisions; Rationale-building for Teachers, Belmont, CA, Wadsworth, 1976, p 51.